الفصل الرابع

الشريعة الإسلامية والاستنساخ

كما أن ميلاد النعجة دولي بغير الطريق الطبيعي للمواليد حدث هز أركان العالم الذي صحا فجأة على نجاح عملية الاستنساخ في مجال الثدييات بعد استخدامها من قبل في مجال الزراعة والثروة الحيوانية ، وتساءل العالم حول ما إذا كان من الممكن تطبيق هذه التقنية في استنساخ الإنسان بلا أم ولا أب كما خلق آدم أولاً من غير أب ولا أم كما ولد المسيح عليه السلام من أم دون أب وإذا كان الإسلام ليس ضد العلم على الإطلاق بل هو مع البحث العلمي إلى أقصى مدى .

لذلك فإننا في هذا الفصل نقوم بدارسة رأي الشريعة الإسلامية في التطور العلمي ثم بيان الحكم الشرعي في هذه التقنية الحديثة على النحو التالي :-

المبحث الأول : الشريعة الإسلامية والتطور العلمي .

المبحث الثاني : الحكم الشرعي بالنسبة لاستنساخ البشر.

openkenal.com

obeikandl.com

المبحث الأول

الشريعة الإسلامية والتطور العلمي

لا يجوز أن نضع الإسلام في موضع مناقض للعلم إذ هو دين العلم بالدرجة الأولى يدل على ذلك أول آية نزلت على سيدنا محمد ﷺ قوله تعالى :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [١]

فهذه الآيات لم تتحدث عن الشعائر الدينية إنما تتحدث عن العلم الذي كان أول شيء علمه آدم بعد خلقه .

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ... ﴾ [٢]

حيث كان هذا العلم تهيئة لآدم للمهمة الكبرى على الأرض وهي عمارة الكون فالإسلام ليس ضد العلم ، واهتمام الإسلام بالعلم هو من المعلوم من الدين بالضرورة ، فالإسلام هو الذي يمجد العلم ويرفع قيمة العلماء ويدعو المسلمين إلى أن يبحثوا في خلق الله والكون ، وأن يلتمسوا الأسباب التي يصلون بها إلى القوة ولا يكونون أقل من غيرهم في مجال العلم والبحث .

فالعلم والإسلام توءمان لا ينفصلان وتأتي نقطة موقف الإسلام من توظيف العلم ، هذه القضية هي ما يعرف في علم المنطق ببرهان الخلق ، كان هذا العلم تهيئة لآدم لمهمة الكبرى على الأرض وهي عمارة الكون ثم كانت وصية الله تبارك وتعالى للنبي ﷺ :

﴿ .... وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [٣]

١- سورة العلق :الآية ١ : ٥ .
٢- سورة البقرة من الآية ٣١
٣- سورة طه من الآية ١١٤

فالإسلام دين علم ومعرفة .

ومجالات العلم والمعرفة في الإسلام تسع السموات والأرض وما بينهما يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

وعندما ذكر القرآن الكريم أن العلماء هم أخشى الناس لله ، لا يقصد هنا علماء الدين فقط ، ولكن العلماء بصفة عامة ، لأن العلم في الإسلام ليس علمًا محدودًا بحدود دينية ، ولكن العلم الشامل بكافة أبعاده فهو العلم الذي يقصده القرآن الكريم لذلك يقول تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ... ﴾ (٢)

فإذا كان هناك تضاد بين العلم والدين بالنسبة لبعض الأديان الأخرى سماوية أو غير سماوية فهو غير قائم بالنسبة للإسلام الذي هو دين العلم والمعرفة ولذلك استطاع المسلمون بعد فترة زمنية قصيرة من ظهور الإسلام أن يبنوا حضارة كانت من أطول الحضارات عمرًا في التاريخ هذا ولقد بلغ العلم مرتبة عظيمة في الإسلام حيث قرر القرآن الكريم مادة العقل والفكر والعلم مئات المرات وأمر الله الإنسان أن يفكر وأن يتدبر وأن يبحث عما يفيده ولم يحجر الله على العقل ولم يغضب على إبراهيم عليه السلام عندما قال لمولاه :

﴿ ....رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ.... ﴾ (٣)

١- سورة الجاثية من الآية ١٣.
٢- سورة فصلت من الآية ٥٣.
٣- سورة البقرة من الآية ٢٦٠

فقال له الله :

﴿... قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ...﴾ (١)

والنبي ﷺ دعا إلى العلم فقال " من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين " بل إن القرآن الكريم أشاد بالأنبياء الذين آتاهم الله علمًا وحكمةً فقال :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

ولقد تولى طالوت القيادة العسكرية لعلمه وقوة بدنه وتقواه قال تعالى :

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣)

وقد حث القرآن الكريم على العلم في آيات كثيرة وفي شتى المجالات ففي مجال بدء الخلق يأمرنا بالسير في الأرض والتأمل فيها عندما يخاطبنا بقوله :

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤)

وفي مجال الجغرافيا يخاطبنا بقوله :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٥)

١- سورة البقرة من الآية ٢٦٠
٢- سورة النمل الآية ١٥.
٣- سورة البقرة آية ٢٤٧.
٤- سورة العنكبوت الآية ٢٠.
٥- سورة السجدة الآية ٢٧

وفي مجال التاريخ والآثار يخاطبنا بقوله :

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ (١)

كما دلل القرآن الكريم على علوم متعددة في آية واحدة عندما قال تعالى :

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

فقد أشارت هذه الآية إلى علوم متعددة مثل علم الفلك في قوله تعالى :

﴿ ... وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ .... ﴾

وكذا علم البحار في قوله تعالى " والفلك التي تجري في البحر " وإلى علوم المياه في قوله تعالى " وما أنزل الله من السماء من ماء " وإلى العلوم الزراعية والجيولوجية في قوله تعالى " فأحيا به الأرض بعد موتها " وإلى علم الحيوان في قوله تعالى " وبث فيها من كل دابة " وإلى علم الأرصاد بقوله تعالى " وتصريف الرياح " (٣).

١- سورة السجدة الآية ٢٦

٢- سورة البقرة الآية ١٦٤.

٣- د. محمود حمدي زقزوق : الاستنساخ في رؤية الفقهاء ، وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، المرجع السابق ، العدد ٣٣، صـ ٣

د. عبد الله النجار : محاولات تبديل خلق الله ، المرجع السابق ، صـ ٤٩

د. عبد المعز خطاب ، الاستنساخ البشري هل هو ضد المشيئة الآلهية .. قطاع المعلومات ، إدارة خدمات الأبحاث، مكتبة مجلس الشعب ، صـ ٥١

د. جمال مصطفى عبد الحميد : أسرار إعجاز القرآن ، قطاع المعلومات إدارة خدمات الأبحاث ، مكتبة مجلس الشعب

الطبعة الأولى ١٩٩٧ ، صـ ٣٢٣.

ومما سبق يتبين أن الإسلام منح آفاقًا واسعة في مجال البحث العلمي حيث أمر الناس بأن يسلكوا طريق العلم حتى يصلوا به إلى ما ينفع البشرية وما أوردناه من آيات وأحاديث لقليل من كثير حيث كان للقرآن الكريم مجال السبق في الأمر بتعلم العلم والبحث عليه ومن ذلك قوله ﷺ " خيركم من تعلم العلم وعلمه " وقوله أيضًا " العلماء ورثة الأنبياء ".

ولذا كان للعلماء منزلة عظيمة في الشريعة الإسلامية بينها القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ ...إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ...﴾ (١)

وبهذا يكون التوافق بين العلم والدين وإنه لا تناقض بينهما بل إن الناظر يجد أن الإسلام يحبذ الابتكار وكل سبق علمي ينفع الناس بحيث تكون المصلحة في المجال العلمي فثم شرع الله .

ومن هذه الإنجازات والابتكارات العلمية الحديثة موضوع الاستنساخ وهذا هو ما نلقي عليه الضوء في المبحث التالي .

١- سورة فاطر الآية ٢٨.

obeikandl.com

المبحث الثاني
الحكم الشرعي في استنساخ البشر

منذ أن أثيرت قضية الاستنساخ البشري بعد نجاح العلماء في استنساخ حيوانات ثديية من الخلية الجسدية وإنتاج نسخ طبق الأصل لهذه الحيوانات فقد تطلع العلماء إلى تطبيق ذلك على الإنسان إلا أن تطبيق الاستنساخ البشري عليه كثير من المحاذير ويثير كثيرا من المشاكل سواء المتعلقة بالإخلال بالتوازن البشري أو الاتجار بالأعضاء البشرية أو النطف أو اختلاط الأنساب فإن ذلك يؤدي إلى هدم قاعدة أساسية وثابتة منذ آلاف السنين وهي قاعدة التفرد وعدم التشابه وإذا فقد الإنسان هذه القاعدة فقد معها صفته الأساسية التي يختلف بها عن سائر الحيوانات الأخرى وذلك لأن النسخ للإنسان سيكون مثله مثل نسخ الأوراق ويؤدي هذا إلى أن يفقد الإنسان معاني كلمة الإنسانية .

وفي البداية فإننا كما أشرنا يتبين أنه لا يجوز لنا أن نضع الإسلام في موضع مناقض للعلم إذ إن الإسلام قد دعا إلى تعلم العلم بشرط أن يعود بالخير أو بالنفع على البشرية .

ولما كان هذا الأمر - استنساخ البشر - من الأمور التي لابد وأن تدرس دراسة عميقة حتى يمكن إظهار الحكم الشرعي فيها .

ولما كان الفقهاء القدامى لم يتناولوا مثل هذه التقنية في أبحاثهم فإننا نتعرض لموقف فقهاء الشريعة المعاصرين من هذه التقنية ثم بعد ذلك نبين رأي بعض المنظمات والمؤسسات الدينية ثم صور الاستنساخ والحكم الشرعي لها حتى يكون الحكم على هذه التقنية قد جاء جامعًا مانعًا .

وبذلك يمكن أن نتحدث عن الحكم الشرعي في استنساخ البشر من خلال المطالب الآتية :-

المطلب الأول : موقف فقهاء الشريعة المعاصرين من استنساخ البشر.

المطلب الثاني : رأي بعض المنظمات والمؤسسات الدينية .

المطلب الثالث : : صور الاستنساخ والحكم الشرعي عليها .

obeikandl.com

المطلب الأول

موقف فقهاء الشريعة المعاصرين

من استنساخ البشر

أظهر العلماء المعاصرون رأيهم في هذه التقنية عندما ظهرت على الساحة من خلال الاعتماد على آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو اعتماد على اجتهاد عقلي كالقياس ونحوه باعتبار أن الحكم على الشيء فرع من تصوره وقبل ان نستوضح الأمر جليًّا نبين في البداية أن هناك بعضًا من العلماء يؤيد فكرة استنساخ البشر ويسوق أدلة على ذلك إلا أنه من خلال الاطلاع على الكتب الشرعية وجدنا أن الكثير من الفقهاء يذهب إلى تحريم ومعارضة فكرة الاستنساخ ويؤيدون رأيهم هذا بأسانيد سنوردها عند عرض هذا الرأي.

ومن خلال ذلك يتبين لنا أن هناك رأيين في هذه المسألة من الناحية الشرعية نعرض لهما على النحو التالي .

أولاً : رأي المؤيدين لاستنساخ البشر [1]:-

يرى البعض من فقهاء الإسلام المعاصرين جواز ممارسة تقنية الاستنساخ بضوابط معينة هي :-

١- أن تكون الخلية الجسدية والخلية التناسلية من زوجين .

٢- أن يكون هذان الزوجان مازالا في رباط شرعي .

٣- أن توجد آلة ضرورة قصوى تلجئهم إلى ذلك .

١- راجع في عرض هذه الآراء د. كارم السيد غنيم : المرجع السابق ، صـ ١٥٥
مجلة أكتوبر ، القنبلة دوللي وآثار من القرن القادم ، إدارة خدمات الأبحاث ، مكتبة مجلس الشعب ، ١٣ إبريل ١٩٩٧

obeikandl.com

٤- أن يكون اللجوء إلى الإنجاب بالطرق الطبيعية أصبح مستحيلاً.

وعليه فإذا كانت الخلية الجسدية من ذكر والخلية التناسلية من ذكر آخر أو كانت الخلية الجسدية من أنثى والخلية التناسلية من أنثى أخرى أو كانت الخلية الجسدية من ذكر والخلية التناسلية من أنثى متبرعة غير زوجته فإن ذلك محرم شرعاً حيث تعتبر في الأولى لواطًا وسحاق في الثانية وزنا في الثالثة.

هذا وقد أستدلوا على رأيهم هذا بما يأتي :-

١- أنه لا يوجد في الكتاب والسنة قصر للإنجاب على طريقة واحدة أو أنها تتم فقط بالتزاوج بين الذكر والأنثى.

٢- أن التحدي الذي أبداه الله والقرآن هو لخلق الخلية الحية ومنها الحيوان وهو خلية تناسلية أي ليس بخلية جسدية لقوله تعالى :

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾[1]

٣- جاءت قضية الخلق مقرونة بقضية العلم في أول ما نزل من القرآن الكريم كما في قوله تعالى :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[2]

والعلم هنا مطلق غير مقيد أو محصور في نوعية محدودة فدل ذلك على جواز الاستنساخ باعتباره أحد العلوم.

١- سورة الواقعة الآية ٥٨.
٢- سورة العلق الآيات من ١: ٥

ثانياً: رأي المعارضين لاستنساخ البشر [1]:-

يرى معظم فقهاء الإسلام المعاصرين عدم جواز تقنية استنساخ البشر وسنورد آراءهم تفصيلاً على النحو التالي :-

جاء في بيان ألقاه فضيلة شيخ الجامع الأزهر قال فيه " أن الإسلام ليس ضد العلم ولكن خروج إنسان من غير امتزاج ماء الرجل بماء الأنثى حرام ".

وقال :إن كل ما يؤدي إلى إعمار الكون وإلى سعادة الإنسان وإلى المزيد من الذكاء الإنساني بطريقة يقرها الأطباء ولا تتعارض مع الشريعة فهو حلال ، والأصل أن اختلاط الأنساب حرام .. فإذا توصل العلم إلى أي وسيلة جديدة ليس فيها شبهة اختلاط الأنساب فهي حلال .

ويعلق على ذلك أحد الفقهاء بقوله إن الوقت الحالي لن يعطي صورة حقيقية للإنسان الذي سيقومون باستنساخه ويقول إننا لا ندري كيف سيخلق طوله وشكله وعقله كيف سيكون خلقه ودينه برغم زعمهم أنهم بصدد خلق صورة الإنسان على الوجه الأكمل وتلك المعلومات لم تتأكد منها فالاستنساخ لعب بالنار.

ويقول آخر إن الساعة تقوم عندما تأخذ الأرض زخرفها وتتزين ويظن أهلها أنهم قادرون عليها عندئذ يأتيها أمر الله ويحق عليها الدمار فإذا كانت عملية الاستنساخ هذه تجعل الإنسان يظهر أنه قادر على التخليق فإن الإشارة القرآنية هنا تتضح والاستنساخ مدخل لها وهو ما نتخوف منه وحتمًا سيحدث وكما نتخوف من الظلم ولا نستطيع أن ننفيه من الأرض كذلك ستتم عمليات نقل الجينات والتخليق منها حسب مواصفات من ينسخ لكن استغلال العلم الذي ندركه يجب أن يكون فيما ينفع البشرية .

١- د. احمد عمر هاشم : مقال عن حرب الاستنساخ بين العلم والدين ، جريدة الوفد ، ادارة خدمات الأبحاث ، مكتبة مجلس الشعب ، ٩ مايو ١٩٩٧
د. الحسيني أبو فرحة ، د. رمضان حسانين - مقال عن مخاطر الاستنساخ على الأخلاق والإنسانية ،جريدة الأهرام ، مكتبة مجلس الشعب ، ادارة خدمات الأبحاث ، ١٤ مارس ١٩٩٧

obeikandl.com

كما يقول آخر إن التغير في الطريقة الطبيعية للإنجاب يرفضها الشرع حيث إن التزاوج الشرعي بين الرجل والمرأة هو أساس الإنجاب في كافة الشرائع السماوية وأن الاستنساخ البشري يعد مخالفًا للقاعدة المعروفة في التلقيح والتكاثر.

وشدد على أن إسلامنا الحنيف يحرم عملية الاستنساخ البشري والذي يحطم الطريقة المشروعة في الزواج والإنجاب مؤكدًا أن الله سبحانه وتعالى جعل الزواج هو الطريق الشرعي والشريف لمجيء الإنسان إلى الحياة.

ويقول أحد الفقهاء أيضًا إن عملية الاستنساخ التي توظف حركة العلم لصالح الإنسان غير مرفوض إذ الاستنساخ ليس تعديًا على إرادة الله أو خلقا من عدم ولكنه استخدام مغاير للخلية الحية في الخلق بعيدًا عن امتزاج الحيوان المنوي بالبويضة ولكنني أعتقد أن عملية الاستنساخ البشري ستثير في المستقبل الكثير من القضايا الهامة وهي :-

١- تدمير وظيفة الأسرة حيث يتيح الاستنساخ لأي أنثى أن تلد بدون زواج مما يخل بمكانة الأسرة ويدمر العلاقات الاجتماعية فالولادة ليست مجرد عملية بيولوجية ولكنها في الأصل علاقة إنسانية عميقة بين الرجل والمرأة تقوم على المودة والتراحم.

٢- فرض صفات وراثية بعينها للكائنات من خلال تفريغ البويضة من نواتها في حين أن قوانين الوراثة الطبيعية تقوم اساسًا على التفاعل بين نواتين لانتخاب تشكيلة منوعة من صفات الطرفين وهو ما يتيح التنوع وتوريث ونقل الصفات الوراثية من جيل لآخر أما فرض صفات بعينها على الكائن الحي فهو من قبيل العبث الذي لا مبرر له.

المطلب الثاني

رأي بعض المنظمات والمؤسسات الدينية

بعد أن بينا موقف العلماء من استنساخ البشر نبين موقف المنظمات والمؤسسات الدينية حيث كان لها دور فعال في إظهار الحكم الشرعي على هذه التقنية.

هذا وقد جاء بيان عن وزارة الأوقاف أن عمليات الاستنساخ مرفوضة ومحرمة شرعًا ودينًا لأن القيم الاجتماعية والأخلاقية ترفض الاستنساخ

وقالوا إن الرأي النهائي في موضوع الاستنساخ سيكون مطروحًا أمام مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر ليناقشه علميًّا وفقهيًّا بعد المتابعة الدقيقة لأحدث التطورات العلمية في هذا المجال [1].

وقد تناولت إحدى المؤسسات العلمية للأزهر الشريف على لسان رئيسها هذا الموضوع فقال إن الذي يحدث - استنساخ البشر - هو عبث لخلق الله وتغيير له ومغامرة غير مأمونة العواقب في منطقة بالغة الخطورة قد تنتج مخلوقات جديدة لا يعرف العلماء مسبقاً أشكالها وصفاتها من خلال خلق للخلايا الحية والبويضات من الأجناس المختلفة. إن ما يحدث من تغيير لخلق الله مرفوض دينًا والقرآن الكريم يؤكد أن هذا التفكير يكون مصدره وساوس الشيطان وقد جاء فيه قوله تعالى:

﴿ ...وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ... ﴾ [2]

١- الاستنساخ حلال أم حرام، مقال بمجلة آخر ساعة، العدد ٣٢٥٦ الصادر في ١٩ مارس ١٩٩٧، مكتبة مجلس الشعب، ادارة خدمات الأبحاث.
٢- سورة النساء من الآية ١١٩.

والرسول ﷺ أكد في حديث شريف أن المرأة التي تحاول تغيير شكل وجهها ملعونة فما بال الذين يعبثون بالجينات الوراثية لنسخ كائنات حية .

ويضيف أي هندسة وراثية هذه التي ستجلب للعالم أناساً ليس لهم آباء أو أمهات ؟! وأي استنساخ هذا الذي سيصنع بشرًا من نطف وجينات موضوعة داخل معمل إن هذا الأمر يعد إهدارًا لكرامة بني آدم التي أكد عليها القرآن الكريم في آياته والمواجهة تكون بالإسراع في دخول مجال الهندسة الوراثية من جانب العلماء العرب المسلمين حتى يمكن ترشيد هذا النشاط بما يوائم القيم الدينية والاجتماعية التي تحكم العالم الإسلامي . وحتى لا نقع صرعى لأوهام علماء تصوروا أنهم آلهة بعد أن اكتشفوا سرًّا صغيرًا للغاية من أسرار الخلية التي لازالت لغزًا يستعصي على الفهم [1].

وقد جاء على لسان أمين البحث العلمي بوزارة العدل السعودية " باعتباره نائبًا عن المؤسسة " أن الاستنساخ عملية طبية علمية حاصلة مثلها كأي حدث طبي حصل مثل زراعة الأعضاء وطفل الأنبوب وهذه الضجة الحاصلة ما تبرح أن تزول كما زال غيرها لكن في قضية الاستنساخ يختلف الحال لما قد يحصل من مرض في العقل الطبي فتحصل جنايات مروعة بسبب التلاعب بالجينات الوراثية كما في مسألة تأجير الأرحام وسواها ولهذا فإن الاستنساخ يحسن لمن يهتم به أو يدخل فيه أن يجعل بين عينيه ضوابط ضرورية هي النقل الصحيح ، والعقل السليم والأمانة والشعور الصادق بالمسئولية ذلك أن الاستنساخ عملية قد تدخلها خيانة أو تلاعب وإن شئت قل : عبث فتمتد الأيدي عند ذلك

١- الاستنساخ حلال أم حرام ، مقال بمجلة آخر ساعة ، العد د ٣٢٥٦ الصادر في ١٩ مارس ١٩٩٧ ، مكتبة مجلس الشعب ، ادارة خدمات الأبحاث .

إلى استغلال فئة معينة لعملية الاستنساخ فيستنسخ جيل جديد من فئة عبقرية تكون وقفًا على جماعة معينة كاليهود مثلاً[1].

هذا وقد جاء على لسان مفتي الجمهورية قوله " أننا نفترض أن الحكم الشرعي يقوم على أحاديث وقعت باعتبار أن التجربة حدثت وقد أكد بعض العلماء أن هناك تجربتين تحت الاختبار وفي تكتم شديد وقد مضى عليها خمسة شهور إحداهما في أمريكا والثانية في بريطانيا في مجال استنساخ الإنسان وينتظرون النتيجة النهائية حتى يعلن هذا الحكم.

وعندما نبحث في هذا الجانب نقول ما الفائدة من استنساخ الإنسان إذا قلنا إن هناك فائدة من الاستنساخ في الحيوان والنبات ؟ هل استنساخ الإنسان بهدف زيادة تعداد السكان أو لإيجاد أجناس معينة لها صفات وراثية معينة أم هناك أسباب أخرى وأن معرفة هذه الأسباب تمكننا من معرفة مدى مشروعية هذا العمل وفي الحقيقة لا يوجد تعارض بين العلم والدين وأن المنهج الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لنا لا يمكن تغييره ولا تبديله ولو نجحت هذه التجربة واحتمال نجاحها بناء على ما وجدته من نصوص في كتاب الله سبحانه وتعالى سوف يؤدي إلى إفساد البشرية إذا افترضنا نجاح هذه التجربة فهناك شعب مثل اليهود وهو شعب قليل العدد بين شعوب العالم وقضيته الأساسية هي المجتمع فإذا أرادوا أن يستنسخوا من اليهود ألفًا أو ألفين أو ثلاثة آلاف وهم يمتلكون ثروات طائلة وبالتالي يحققون غرضًا اجتماعيًّا قد يؤدي إلى الإفساد وليس الإصلاح وقد يقبل الأغنياء على استنساخ عناصر معينة من البشر لأغراض

١- مفهوم الاستنساخ وأثره الاجتماعي ، ندوة عقدت بالرياض ، نشرت بمجلة الشرق الأوسط ، العدد ٦٧٤٣ ، الخميس ١٥/٥/١٩٩٧.

سياسية واجتماعية وقد لا تتحقق المصلحة العامة ولكنها تحقق مصلحة خاصة والله عندما بين لنا المنهج في خلق الإنسان أراد منه المصلحة للعالم كله . يقول الله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ... ﴾[1]

وعندما يتدخل الإنسان في منهج الخلق فإنه لن يخلق إنساناً إنما هو مجرد تغيير في منهج الخلق فقط وهذا التغيير سيؤدي إلى إفساد البشرية ولا يؤدي إلى الإصلاح هذا لو نجحت التجربة مع الإنسان . وإن كنت أشك في هذا النجاح .

موقف الكنيسة من الاستنساخ [2]:-

نبين رأي الكنيسة الكاثوليكية مع الكنيسة الأرثوذكسية في رفض الاستنساخ .

حيث يقول الأنبا يوحنا قلته . النائب البطريركي الكاثوليكي إن الكاثولوكيه ترفض بشدة استنساخ البشر وتعتبره عبثًا علميًّا ومصدر إلحاد ورفضًا للقيم الإلهية وكما سقط الإلحاد كنظرية في نهاية هذا القرن سيسقط الإلحاد الأخلاقي عندما يكتشف البشر قمة المأساة الإنسانية في موضوع الاستنساخ .

ويضيف بأن الكنيسة ليست ضد العلم فالعلم هو الحضارة وعندما تكون الحضارة بلا أخلاق نجد أنفسنا أمام شيء خطير فالعلوم إن لم تحكمها المبادئ لإنسانية يمكن أن تدمر مستقبل البشرية إن جسد الإنسان له قدسيته الخاصة

١- سورة الحجرات: من الآية ١٣.

٢- الاستنساخ حلال أم حرام ، مقال بمجلة آخر ساعة ، العد د ٣٢٥٦ الصادر في ١٩ مارس ١٩٩٧ ، مكتبة مجلس الشعب ، ادارة خدمات الأبحاث .

فلا يمكن اعتباره كجسد الحيوان تحت التجارب والعبث بالهندسة الوراثية بدون ضوابط كاللعب بالقنابل الذرية .

وعلى العموم فقد أدركت الدول الكبرى خطورة الاستنساخ فرفضت تمويل هذه التجارب اللا أخلاقية وليكن واضحًا تمامًا بأن الكنيسة تتمسك بالإيمان باللّٰه الخالق لأنه هو المسئول الأول عن البشرية وبأن الضمير والأخلاق سيسود العالم في القرن القادم .

هذا وقد جاء على لسان البابا شنودة قوله إن الإنسان ليس وليد مزرعة كما هو الحال بالنسبة للحيوانات وإنما هو كائن كرمه اللّٰه تعالى وجعله خليفة في الأرض والخلافة الناجحة تتطلب أن يأتي الإنسان للوجود بالطريقة التي شرعها اللّٰه وهو الزواج الصحيح الذي يتحقق معه العطف والتراحم والمودة داخل الأسرة وهي القيم التي نسيها علماء الهندسة الوراثية في غمرة انشغالهم بالعبث في الصفات الوراثية للخلايا الحية .

إن الاستنساخ يحاول أن يعدل ويشكل في أسلوب الإنجاب بغير الأسلوب الطبيعي أو الحكيم الذي رسمه اللّٰه بطريقة يختل بها نظام الأسرة ويختل نظام انتماء الأبناء إلى الآباء ويصبحون بها مجرد أبناء إناث ويصبح لا حاجة إلى الرجولة أو الذكورة ويعاد تشكيل المجتمع بالأسلوب الذي يتم تصنيعه في المعامل ويتم إنتاج أنواع جديدة من الخليقة حسب هوى العلماء .

لاشك أن الهندسة الوراثية تحتاج إلى ضبط ومراقبة ومع ذلك فإنها وإن كانت تقف ضد الدين أحيانًا ولكنها لا يمكن أن تهدده إذ هؤلاء العلماء يشتغلون على خلايا حية من خلق اللّٰه ولكنهم لا يستطيعون إطلاقًا أن يوجدوا حياة ونحن لا ندري إلى أين يقود التطور في المستقبل كما لا ندري ماذا سيكون مصير هذه

الكائنات المصنعة ولا ماذا ستكون العلاقة بين جيل من أبناء طبيعيين وجيل من أبناء مصنعين اختفي في إنتاجهم عنصر الرجولة والذكورة لو تم ذلك فرضًا ولا يتوقع أن يتم [1] وهو ما أكده أيضًا الدكتور الأنبا موسى الاسقف العام للكنيسة المرقصية [2].

ومما سبق يتبين من خلال ما ذكره الفقهاء وبعض المنظمات والمؤسسات الدينية ومن خلال موقف الكنيسة وما ورد على لسان مفتي الجمهورية أيضًا يتضح أن هناك اتجاهًا غالبًا يعارض بشدة فكرة استنساخ البشر باعتبار أن هذه التقنية لن تعود بنفع على البشرية بل العكس هو الثابت والصحيح .

ولذا فإن الشريعة الإسلامية قد وضعت مبدأ هامًّا وقاعدة من قواعدها الفقهية وهي " درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ".

١- جريدة الوفد ، مقال عن الخلافات الفكرية بن أنصار العلم ودعاة الأديان حول تجارب الاستنساخ مكتبة مجلس الشعب ، ادارة خدمات الأبحاث ، ٩ مايو ١٩٩٧.

٢- الاستنساخ حلال أم حرام ، مقال بمجلة آخر ساعة ، العد د ٣٢٥٦ الصادر في ١٩ مارس ١٩٩٧ ، مكتبة مجلس الشعب ، ندوة خدمات الأبحاث .

obeikandl.com

المطلب الثالث

صور الاستنساخ والحكم الشرعي لها

يتضح من تعريف الاستنساخ وكيفية إجرائه وخطواته أن الاستنساخ يمكن ان يكون داخل إطار العلاقة الزوجية أو خارجها وذلك من ناحية الشكل كما هو الحال في التلقيح الصناعي تمامًا حيث إن التشابه بينهما كبير والفارق يتمثل كما أوضحنا سابقًا بأن الاستنساخ يتم بخلية جسدية أما التلقيح فيتم بخلية جنسية .

وعلى ذلك يمكن أن نتصور أن الاستنساخ يمكن أن يأخذ بعض الصور الآتية :

الصورة الأولى : أن تكون نواة الخلية من امرأة متزوجة والبويضة منها أيضًا .

الصورة الثانية : أن تكون نواة الخلية من امرأة متزوجة والبويضة من امرأة اخرى .

الصورة الثالثة : أن تكون نواة الخلية من متبرع والبويضة من زوجة ثم يتم وضعها في رحم الأخيرة .

الصورة الرابعة : أن تكون نواة الخلية من زوج والبويضة من زوجة.

وبعد عرضنا لبعض الصور التي يمكن أن تثيرها تقنية استنساخ البشر فإننا نقوم ببيان الحكم الشرعي لكل صورة من الصور التي أوردناها سابقًا ولاحظ أننا لم نذكر كل الصور التي يمكن تصورها من خلال عملية استنساخ البشر وقد اقتصرنا على الصور السابقة نظرًا لأهميتها وظهورها لدى كل متصور لهذه التقنية وإليك بيان الحكم الشرعي .

الصورة الأولى :

وهي التي تكون فيها نواة الخلية من امرأة متزوجة والبويضة منها أيضاً .

حكمها : يرى بعض العلماء المعاصرين [1] أنه إذا كانت الخلية والبويضة من امرأة متزوجة والبويضة منها أيضًا فالحكم أنها حرام وذلك للأدلة التالية :-

١- أن الله سبحانه وتعالى قد كرم الإنسان في مجالات شتى ومن صور تكريمه نسبه إلى أبيه وأمه ولذلك فإن اللقيط يفقد شيئًا هامًّا جدًّا بعد انتسابه إليهما .

٢- إن الشريعة الإسلامية من أكثر الشرائع تأكيدًا على مسألة الأنساب والحفاظ عليها .

٣- إن الأنثى إذا أنجبت من نفسها ضاع حق الولد في انتسابه للأب .

٤- إن هذه الصورة وسيلة لانتشار الرذيلة وذلك لأن المرأة التي تلد من نفسها لديها غريزة الجنس التي قد تحتاج إلى إشباعها .

٥- إن هذه الصورة تعطي للمرأة الفرصة للاستقلال بنفسها وبالتالي تؤدي إلى هدم الأسرة .

ونرى أننا وإن كنا نتفق مع ما ذهب إليه هذا الرأي من ناحية الحكم الشرعي إلا أننا لا نتفق معه في بعض استدلالاته على ما توصل إليه وهي تشبيه الشخص المستنسخ في هذه الصورة باللقيط وذلك لأن اللقيط كما هو معروف أبواه موجودان حقيقة لكنهما بالنسبة للقيط مجهولان بدليل أن الأبوين قد يأتيان يومًا ويقران بنسب الطفل إليهما كما أن النسخة المستنسخة معروف مصدرها وهي الأم .

١- د. محمد رأفت عثمان : مقال بمجلة نصف الدنيا ، السنة الثامنة ، العدد٣٧٣ في ١٩٩٧/٤/٦ ، صـ ٤

obeikandi.com

كما ذهب البعض إلى [1] أن استنساخ الإنسان عن طريق أخذ الخلية الحاملة لكل العوامل الوراثية من الأم فقط وزرعها داخل الرحم فيتكون الجنين بعيدًا عن الأب والأم فإنه لا يتصور لأن الله تعالى هو القائل :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [2]

والاستنساخ بهذه الصورة التي تجري عليها التجارب الآن وخاصة خلق جنين باستخدام خلية تحمل العوامل الوراثية للأم فقط وليس الأب جزءًا فيها حرام .

ونشير إلى ان النسخة في هذه الصورة تكون أنثى في جميع الأحوال .

الصورة الثانية :

وهي ان تكون نواة الخلية من امرأة متزوجة والبويضة من امرأة أخرى وهو ما يطلق عليه الاستنساخ بين امرأتين .

حكمها : يرى بعض العلماء المعاصرين [3] أنه بالدليل الشرعي وهو القياس يمكن تحريم الاستنساخ بهذه الطريقة لأن الشريعة الإسلامية حرمت الاستمتاع الجنسي بين أفراد الجنس الواحد ومن باب أولى قياسًا فالإنجاب بهذه الصورة حرام شرعًا .

١- د. محمد سيد طنطاوي : مقال مجلة نصف الدنيا ، العدد ٢٣٠ ، صـ ٤٣.
٢- سورة آل عمران الآية ٦.
٣- د. محمد رأفت عثمان : المرجع السابق .

ومن جانبنا نرى ان الاستنساخ في هذه الصورة يؤدي إلى ضياع حق الأنثى النسخة في إلحاقها لأبيها من جهة النسب وبالتالي ضياع حقوقها الخلقية شرعًا عن طريق الأب .

ولذا فإن الشريعة الإسلامية قد حرمتها من هذا الجانب فضلاً عما تؤدي إليه من إلغاء سنة بيولوجية خلقها الله تعالي في الخلق وهي الإنجاب من ذكر وأنثى " وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى كما أن كل شيء في الكون قائم على رسالتها الأساسية وإحداث التباين بين الأفراد .

الصورة الثالثة :

أن تكون نواة الخلية من متبرع والبويضة من امرآة متزوجة ثم توضع في رحم الأخيرة .

حكمها : يرى بعض العلماء المعاصرين [1] تحريم هذا العمل وهو في معنى الزنا ، والزنا من المحرمات المقطوع بها في صريح آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله وإجماع الأمة وهو يؤدي إلى اختلاط الأنساب المحرم شرعًا .

ومن جانبنا نرى أن هذه الصورة تأخذ حكم الصورتين السابقتين من ناحية الحرمة وكذا اختلاط الأنساب وضياعها .

الصورة الرابعة :

أن تكون نواه الخلية من زوج والبويضة من زوجة .

١- د. محمد رأفت عثمان : ندوة عن الاستنساخ في رؤية الفقهاء ، المرجع السابق ، ص ١١٦ .

obeikandl.com

معلوم أن الإنجاب بين الرجل والمرآة لا يجوز إلا إذا كان بينهما رباط شرعي " عقد زواج " مستوف لأركانة وشروطة وذلك لأن الأسرة [1] هي الطريق الوحيد للتناسل وما عدا هذا يمنعه الإسلام ويحرمه .

وفي هذه الصورة نبحث حكم الشرع عما إذا كانت نواه الخلية التي وضعت في بويضة المرآة قد أخذت من زوجها .

الحكم : خلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مما يشير بصفة مباشرة إلى تحريم البحث والتجريب والمحاولة بل إن القرآن الكريم والسنة النبوية قد حبذا على العلم وكرما العلماء ووصفا التعلم والبحث والتجريب والمحاولة في مقام العبادة وطالما اتجه العلم إلى خدمة البشرية وطالما جاهد العلماء إلى إيجاد الحلول للقضاء على كثير من المشاكل والأمراض التي يعاني منها الإنسان وطالما قصد العلماء من جهدهم ومحاولاتهم إسعاد البشرية وكانت اساليب البحث ونتائجه متمشية مع الناموس الطبيعي للخلق فإنه لامناص من قبولها ذلك لأن الله عزوجل لم يضع في شرعه الحكيم قيداً أو حدودًا للبحث عنها والمحاولة إلا أن تكون متمشية كما قلنا مع الناموس الطبيعي إذ إن الله هو الخالق للكون من العدم خالق الشيء من اللا شيء وهو الذي يقول سبحانه للشيء كن فيكون فإن كل المحاولات والأبحاث العلمية لم تتجه ولن تتمكن من إيجاد الشيء من اللا شيء ولكنها تتجه إلى إيجاد البشر أو الإنسان من خلايا ونطف الإنسان ذاته وبالتالي ففي تصورنا إذا كانت القاعدة أنه لا حياء في العلم فلا حدود أيضًا للعلم

١- أعطى القانون للأسرة حقوقاً ثابتة لكل شخص منها باعتباره عضوا فيها وأن اختلفت هذه الحقوق باختلاف مركز الشخص ووضعه في الأسرة فاللزوج حقوق على زوجته بصفته زوجها ولها حقوق على زوجها بصفتها زوجته وهكذا في الأم والأب مع أولادهما والعكس والطابع المميز لهذه الحقوق أنها لا تمنح لاصحابها لتحقيق مصلحة شخصية لها ولكنها تمنح لتحقيق مصلحة الأسرة صفة عامه .
راجع في ذلك د . همام محمد محمود ، د . محمد منصور : مبادئ القانون . المدخل إلى القانون منشأة المعارف بالإسكندرية ، طبعة ٩٥ / ٩٦ ، ص ١٨٨ .

ولا محظور أو محاذير له إلا مخالفته للقانون أو الناموس الطبيعي والنصوص الشرعية . وبناءً عليه فإننا نقبل ونحبذ على البحث العلمي طالما كانت في صالح البشرية ومتمشية مع الناموس الطبيعي والنصوص الشرعية .

وبالضوابط الآتية :-

١- يجب أن يكون الاستنساخ باستخدام خليه وبويضة من زوج وزوجة تربطهما علاقة زوجية قائمة ومشروعة .

٢- يجب أن تكون جميع محاولات الإنجاب منهما قد فشلت وأصبحت مستحيلة بالطرق العادية .

٣- أن يتم الرضاء والاتفاق من كل الزوجين على استخدام هذه الوسيلة .

٤- أن يكون الغرض من التلقيح علاجيًّا وذلك بهدف استبعاد وتحسين النسل .

ومع ذلك فإن الاستنساخ يثير كثيرًا من المشاكل القانونية من الناحية المدنية سواء من ناحية النسب أو الميراث وكذا من الناحية الجنائية على النحو الذي سنعرض له في الفصل التالي .

openkandil.com